IUGJHR
Vol 24, No2, 2016, pp 23-41

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية

تاريخ الإرسال (2015/12/19)، تاريخ قبول النشر (2016/02/14)

التناص القرآني في ديوان العصف المأكول

د. محمد مصطفى كلاب[1,*]

[1]قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، قطاع غزة، فلسطين

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

e-mail address: mkollab @iugaza.edu.ps

الملخص:

يشكل التناص القرآني مكوناً بنائياً أصيلاً من مكونات قصائد:(ديوان العصف المأكول)، ويهدف البحث إلى دراسة البنيات الرئيسة المكونة للتفاعلات النصية مع آيات القرآن الكريم، وقصصه، وشخصياته، التي تشكل البنية العميقة لقصائد الديوان، وتمثل السمة البارزة لثقافة شعرائه.

ويسعى الباحث إلى استخدام المنهج الوصفي التحليلي، لدراسة التناص القرآني في ديوان العصف المأكول، من خلال المحاور الآتية: التناص مع آيات القرآن الكريم، ومع قصص القرآن الكريم، ومع شخصيات القرآن الكريم.

وقد خلصت الدراسة إلى أن التناص القرآني غلب على قصائد ديوان العصف المأكول، وكشف عن ثقافة شعرائه، وقدرتهم على استدعاء معطيات القرآن الكريم، واستثمارها في نصوصهم الشعرية، للتعبير عن تجاربهم المعاصرة.

كلمات مفتاحية:

التناص، العصف المأكول، القرآن الكريم، الرموز الدينية، الحقول الدلالية.

The Qur'anic Intertextuality in Al-Asf Al- Ma'kuul

Abstract

The Gur'anic intertextuality is considered an essential structural component in the poem collection Al-Asf Al-Ma'kuul (the eaten straws). This study aimed at studying the main structural components of textual interactions with Our'anic verses, stories and characters that constitute the deep structure of the collection and represent the outstanding feature of its poets' literacy. The researcher used the descriptive and analytic approach through the following themes: intertextuality with the Our'an, its stories and its characters. Results revealed that the Our'anic intertextuality is the main feature that characterizes the poem collection of Al-Asf Al-Ma'kuul. Finally, the results highlighted the literacy of the poets and their ability to use Our'anic data in their poetic texts to express their contemporary experience.

Keywords:

Intertextuality, Al-Asf Al-Ma'kuul, The Our'an, Religious Characters.

المقدمة:

تمثل التفاعلات النصية ملمحاً بارزاً من ملامح النصوص الأدبية، وطابعاً أصيلاً في منظومتها البنائية، عرفته العملية الإبداعية، والممارسات النقدية العربية منذ القدم، وتجلت هذه المعرفة الإبداعية من خلال المقدمات الطللية للقصائد، وبرزت الممارسات النقدية من خلال الحديث عن السرقات الأدبية، والتأثير والتأثر، والاقتباس والتضمين، ورغم المعرفة العربية المبكرة للتفاعلات النصية لم نجد من يبلورها في نظرية أدبية متكاملة.

ونظراً لأهمية التناص، وشيوعه في الخطاب الأدبي، وما يحققه من نهوض بعمليتي: الإبداع، والتلقي، فقد دفع العديد من أصحاب دراسات ما بعد البنيوية إلى الاهتمام بالتفاعلات النصية، ودراستها في أكثر من جانب، وعلى أكثر من مستوى، للوقوف على تجلياتها الإبداعية، وطاقاتها الإيحائية، وأبعادها التأثيرية.

وقصائد ديوان العصف المأكول منفتحة على حقول معرفية متعددة، وآفاق ثقافية متباينة، تحول دون دراستها بمعزل عن البيئة المحيطة بها، وتقودها نحو الانفتاح على مرجعيات معرفية واسعة، وتحقيق فاعلية التفاعل النصي بشكل يُمكن المبدع، والمتلقي من الانفتاح على طاقات دلالية، وآفاق إيحائية واسعة.

ويعد القرآن الكريم مصدراً مهماً من مصادر الإلهام الشعري لدى الشعراء المسلمين، وغير المسلمين، "وإذا كان الكتاب المقدس هو المصدر الأساس الذي استمد منه الأدباء الأوربيون شخصياتهم، ونماذجهم الدينية، فإن عدداً كبيراً منهم قد تأثر ببعض المصادر الدينية الإسلامية، وفي مقدمتها القرآن الكريم، حيث استمدوا من هذه المصادر الإسلامية الكثير من الموضوعات، والشخصيات التي كانت محوراً لأعمال أدبية عظيمة"[1]. وارتكاز شعراء ديوان العصف المأكول على الخطاب القرآني، واستثمارهم لمعطياته، يرجع إلى طبيعة الصراع الذي يخوضه أبناء الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني، الذي انعكست تداعياته على جوانب الحياة الفلسطينية كافة، سواء السياسية، أو الاقتصادية، أو الدينية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، لذلك كانت الرموز القرآنية– المستدعاة في قصائد ديوان العصف المأكول– ذات ارتباط واضح بمعركة العصف المأكول، وتداعياتها.

وقد عمد شعراء ديوان العصف المأكول إلى توظيف معطيات القرآن الكريم، من أجل أن يفتحوا آفاقاً رحبة أمام تنامي قصائدهم، "وتوظيف النصوص، الدينية في الشعر يعد من أنجح الوسائل، وذلك لخاصية جوهرية في هذه النصوص، تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه، وهي أنها مما ينزع الذهن البشري لحفظه، ومداومة تذكره...، فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص، إلا إذا كان دينياً، أو شعرياً. وهي لا تمسك به حرصاً على ما يقوله فحسب، وإنما على طريقة القول، وشكل الكلام أيضاً. ومن هنا يصبح توظيف التراث الديني في الشعر–خاصة ما يتصل منه بالصيغ– تعزيزاً قوياً لشاعريته، ودعماً لاستمراره في حافظة الإنسان"[2] ، لذلك حظي الخطاب القرآني باهتمام واسع من قبل الشعراء، فاستفادوا من معانيه، ووظفوا مواقفه، وأحداثه، وقصصه، وشخصياته. والشاعر عندما يوظف معطيات القرآن الكريم، يوظفها بوصفها جزءاً من البنية الدلالية للنص الشعري، ويعد "هذا تنويع جديد على الموقف نفسه، ويؤكد أن العملية ليست مطلقاً عملية اقتباس لنص التراث، وإنما هي عملية تفجير لطاقات كامنة في هذا النص، يستكشفها شاعر بعد آخر، كل حسب موقفه الشعوري الراهن"[3].

(1) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، زايد (ص95).

(2) إنتاج الدلالة الأدبية، فضل (ص59).

(3) الشعر العربي المعاصر، اسماعيل (ص53).

ويجذب القرآن الكريم بألفاظه، وتراكيبه، وشخصياته، وأحداثه، وقصصه، عناية الشاعر المعاصر، لاستحضارها فكرياً، ووجدانياً، واستثمارها فنياً في نصوصه الإبداعية، مما يكشف عن قوة التواصل، وعمق التفاعل بين الشاعر المعاصر والقرآن الكريم، ويعزز من حضور القراءة الفاعلة، والتلقي الإبداعي القائم على التفاعل بين المرجعيات الإسلامية والواقع المعاصر، في رؤية فنية، وعالم إبداعي جديد، يوحي بتعايش المعطيات الدلالية، والجمالية للقرآن الكريم مع الواقع، على اختلاف أزمنته، وتباعد أمكنته.

تساؤلات الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على تساؤل رئيس هو: كيف استثمر شعراء ديوان العصف المأكول معطيات القرآن الكريم؟ وقد تفرع عن هذا التساؤل ثلاثة أسئلة فرعية، هي:

1. ما المرجعيات القرآنية التي استلهمها شعراء ديوان العصف المأكول؟
2. ما الأسباب التي دعت شعراء ديوان العصف المأكول إلى اللجوء لتوظيف معطيات القرآن الكريم؟
3. ما القيم التي أضفاها توظيف معطيات القرآن على ديوان العصف المأكول؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- الوقوف على أشكال التناص القرآني، التي استدعاها شعراء ديوان العصف المأكول.
- معرفة آليات تناص شعراء ديوان العصف المأكول مع القرآن الكريم، ودورها في التشكيل الفني لقصائدهم.
- كشف مرجعيات النصوص القرآنية المستدعاة في قصائد الديوان.
- الوقوف على القيم الدلالية، والجمالية للتناص مع القرآن الكريم.

أسباب اختيار الدراسة:

صدر ديوان العصف المأكول حديثاً عن رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين، عام 2014، ولم يقع بين يدي الباحث دراسة نقدية، أخذت على عاتقها قراءة الديوان، في ضوء نظرية التناص، مما عزز لدى الباحث خوض غمار البحث في التناص، واقتصر البحث على التناص مع القرآن الكريم، لقدسية النصوص القرآنية، وخصوصيتها، وتميزها، وكثرة استثمار شعراء الديوان لألفاظ القرآن الكريم، وتراكيبه، وقصصه، ومواقفه، وأحداثه، وشخصياته.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، لدراسة ظاهرة التناص القرآني، في ديوان العصف المأكول، وتتبع صورها بالرصد، والوصف، والتحليل.

الدراسات السابقة:

سبقت هذه الدراسة ثلاث دراسات، تناولت موضوع التناص القرآني في الشعر الفلسطيني المعاصر، وهي:

- دراسة جمال فلاح النوافعة (2008)، موسومة بـــ: (أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث)، ولم تتعرض الدراسة لديوان العصف المأكول، لأنه صدر بعد إنجاز الدراسة بسنوات.

- دراسة أعدها عاطي عبيات، ومعروف يحيى (2013)، موسومة بـــ: (الرمز الديني في الشعر الفلسطيني المعاصر أنموذجاً- شخصية يوسف)، واقتصرت الدراسة على رمزية شخصية يوسف، ولم تتعرض لديوان العصف المأكول، لأنه صدر بعد نشر الدراسة.
- دراسة عاطي عبيات، وعلي مطوري (2014)، موسومة بـــ: (تناص القصة القرآنية في الشعر الفلسطيني المعاصر)، ورغم صدور هذه الدراسة في العام نفسه الذي صدر فيه ديوان العصف المأكول، إلا أنها لم تتعرض لدراسة أي نص من نصوصه، إضافة إلى توجه الدراسة نحو التناص القصصي مع القرآن الكريم.

أهمية الدراسة:

وتكمن أهمية الدراسة في كونها تتناول ظاهرة سيميائية، لها أهميتها الإبداعية، وتبحث في ديوان شعري جديد، أجاد شعراؤه استثمار فاعلية التناص مع القرآن الكريم في رسم صور فنية، تعبر عن أفكارهم، وتوحي بانفعالاتهم، تجاه أحداث معاصرة.

حدود الدراسة:

اقتصرت الدراسة على تتبع أشكال التناص القرآني، وآلياته، في ديوان العصف المأكول، الذي قامت بجمعه، وطباعته، رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينيين عام 2014.

خطوات الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة محاور، وخاتمة، استعرض الباحث في المقدمة أهمية الدراسة، وتساؤلاتها، ومنهجها، وأسباب اختيارها، والدراسات السابقة، وحدود الدراسة، وخطواتها. وتناول في التمهيد مفهوم التناص، وعرض في المحور الأول التناص مع آيات القرآن الكريم، وتناول في المحور الثاني التناص مع قصص القرآن الكريم، أما المحور الثالث: فقد بسط الحديث فيه عن التناص مع شخصيات القرآن الكريم، وتجمل الخاتمة النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

تمهيد: مفهوم التناص

يرجع المفهوم اللغوي للتناص إلى أصل المادة (نصص)، وإذا تتبعنا معنى هذه المادة في المعاجم اللغوية التراثية، نجدها تدل على الرفع والإظهار، حيث أورد ابن منظور: "نصصت المتاع، إذا جعلت بعضه على بعض، ومنها ينصهم، وكل شيء أظهرته فقد نصصته، ...، ومنه قول الفقهاء: نص القرآن ونص السنة، أي ما دل ظاهر لفظها عليه من أحكام"[1] ، أما المعاجم الحديثة، قد ورد في المعجم الوسيط: "تناص القوم ازدحموا"[2]، و(تناص) صيغة صرفية على وزن (تفاعل)، تحمل معنى التداخل، والازدحام، والتراكم، وبذلك تقترب الدلالة اللغوية للتناص من الدلالة الاصطلاحية الحديثة.

أما المعنى الاصطلاحي للتناص فقد عبرت عنه الناقدة البلغارية (جوليا كرستيفا) " بقولها: "إن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب، وتحويل لنصوص أخرى"[3] ، وإذا كان المفهوم الاصطلاحي تبلور على يد (جوليا كرستيفا) فإن الفضل في ذلك يعود إلى الجهود النقدية الرائدة لأستاذها (ميخائيل باختين)، الذي أشار إلى حوارية النصوص، وتعددية الأصوات[4].

(1) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نصص) (ج6/648).
(2) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون، مادة (نص) (ج2/926).
(3) الخطيئة والتكفير، الغذامي (ص322).
(4) ينظر، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، تودوروف (ص121).

وقد خاض غمار البحث في مصطلح التناص بعد جوليا كرستيفا، عدد كبير من النقاد الغربيين، وتوسعوا في دراسته، حتى بات ظاهرة نقدية، جذبت عناية النقاد، خاصة من عرف منهم باسم: مجموعة كتاب: (نظرية المجموع)، ومن أبرزهم (سولرس) الذي أكد أن: "كل نص يقع في مفترق طرق نصوص عدة، فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها، وامتداداً، وتكثيفاً، ونقلاً، وتعميقاً"[1]، أما الناقد (لوران جيني): فاقترح– ضمن مراجعات منهجية– إعادة تعريف التناص، بعد مرور سنوات على تعريف (جوليا كرستيفا) له، وعرفه بأنه "عمل تحويل، وتمثيل عدة نصوص، يقوم بها نص مركزي، يحتفظ بزيادة المعنى"[2]، واختلاف الآراء حول مفهوم التناص يعود إلى اختلاف المرجعيات المنهجية التي انطلق منها النقاد.

ورغم حداثة مصطلح التناص، إلا أن الفكر العربي عرف مفهومه منذ القدم، حيث ورد في المصنفات البلاغية العربية، والنقدية، والأدبية، تحت مسميات متباينة، منها: الاقتباس والتضمين، والتأثير والتأثر، والسرقات الأدبية، والمقدمات الطللية التي تقتضي التقليد الشعري، وهذا يؤكد تنبه النقاد العرب القدامى إلى علاقة النص بغيره من النصوص، منذ العصر الجاهلي.

والتناص حاجة فنية، وضرورة إبداعية، لا مناص منه، ولا فكاك للمبدع عن شروطه الزمانية، والمكانية، ومحتوياتهما، ومن ذاكرته الشخصية، فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم، وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص، من قبل المتلقي[3] الذي يبحث عن شراكة حقيقية في إعادة إنتاج النص وتأويله، وبذلك تكون تقنية التناص أسهمت في إيجاد المتلقي الفاعل، الذي يشارك في إنتاج دلالات جديدة، وهذا مرهون بسعة ثقافة المتلقي، وعمق فهمه للتفاعلات النصية.

وبعد قراءة ديوان العصف المأكول، وتأمل التفاعلات النصية في قصائده، يمكن دراسة التناص القرآني في الديوان، من خلال ثلاثة محاور تناصية، هي: تناص مع آيات القرآن الكريم، وتناص مع قصص القرآن الكريم، وتناص مع شخصيات القرآن الكريم.

المحور الأول: التناص مع آيات القرآن الكريم

القرآن الكريم كلام الله المعجز، ونص روحي مقدس، جذب اهتمام المتلقين– منذ زمن بعيد– بجمال أسلوبه، وبلاغة تراكيبه، وسحر معانيه، وروعة بيانه، وعذوبة إيقاعه، وما زال يتمتع بعمق تعبيره، وقوة تأثيره، "ولا مراء أن للنص القرآني قيمته البلاغية، ووقعه المؤثر على القارئ والسامع، وهذا الوقع لا يرجع فقط إلى مضمونه، وشكله، أو معناه ونسقه الأسلوبي، وإنما يرجع كذلك إلى قداسته، وكونه محل ثقة وتصديق، لأنه نص إلهي من لدن حكيم عليم، مما يلقي بأضواء على النص الشعري الذي يستلهمه"[4] ، فيمنحه ثراءً دلالياً، وفضاء إيحائياً، وبعداً روحياً، وامتداداً حضارياً، وعمقاً تأثيرياً، لذا فلا عجب أن نجد إقبالاً شديداً من شعراء ديوان العصف المأكول على الخطاب القرآني، ينهلون من معينه، ويعيدون كتابة معانيه، وصياغة قصصه، وتوظيف رموزه، وأحداثه، وشخوصه، واستثمار ألفاظه، وتراكيبه، المنتجة للدلالة، التي تغري الكتاب إلى استثمار معطياتها الدلالية، والجمالية، وقيمها المعنوية، والروحية، وصهرها في تجاربهم، وإعادة تشكيل معانيها وفقاً لحالاتهم الانفعالية، وتجاربهم الإبداعية، لذلك يبقى القرآن الكريم بكل طاقاته، وآفاقه "نصاً مقدساً عند الشاعر المعاصر...، يتعلم منه، ويحلم به، فهو منتهى البلاغة، ومستقبل الكتابة، مهما كان نوعها وتاريخها"[5] ، بل يبقى مقوماً أساساً من المقومات اللغوية، والتصويرية التي لها انعكاساتها على حركة الفكر، والثقافة، والإبداع، حيث بات التصوير الفني هو "الأداة المفضلة في أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة

(1) في أصول الخطاب النقدي، تودوروف وآخرون (ص105).
(2) المرجع السابق، ص ص108–109.
(3) ينظر، تحليل الخطاب الشعري، مفتاح (ص123).
(4) استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل، عمارة (ص54).
(5) ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، بنيس (ص267).

والمسحة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة. فإن المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة، فيها الحياة، وفيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل"[1].

ونظراً لأهمية التصوير الفني في القرآن الكريم، توجه شعراء ديوان العصف المأكول بشكل واعٍ، وعميق إلى القرآن الكريم، لينهلوا من معينه، ويثروا نصوصهم الشعرية، ويمنحوها القدرة على التواصل مع قيم معرفية كبرى. والمتفحص لآليات التناص مع القرآن الكريم يجدها متوحدة المصادر، متعددة الأشكال، متباينة الآليات، تحظى بمكانة مهمة في نفوس الشعراء، وفي تجاربهم الإبداعية، وبناءاتهم الفنية، وأساليبهم التعبيرية، ويكاد "لا يخلو خطاب شعري حداثي من استدعائه وامتصاصه – على نحو من الأنحاء– ويصل الامتصاص إلى درجة الذوبان، حتى لا نكاد نفصل فيه بين الخطاب الحاضر، والخطاب الغائب، نتيجة لكثافة الاستدعاء من ناحية، وامتزاجه بنسيج الخطاب الشعري من ناحية أخرى، وهو امتصاص يكاد يتخلص نهائياً من السياق القرآني"[2]، وازدادت هذه المكانة المهمة للخطاب القرآني في ديوان العصف المأكول، نتيجة لطبيعة القضايا التي يعالجها، والموضوعات التي يتحدث فيها، والصور التي يعبر عنها، والقيم التي يوحي بها.

وأمام الهجمة الشرسة التي تتعرض لها فلسطين، أرضاً وشعباً، "كان طبيعياً أن يرتد الشعراء الفلسطينيون إلى تراثهم الديني، باعتباره واحداً من مقومات شخصيتهم العربية، في مواجهة الكيان الصهيوني، الذي يحاول أن يستند في وجوده إلى مبررات دينية. وكأن ارتداد شعراء فلسطين إلى تراثهم الديني يمتاحون منه موضوعاتهم، ويستدعون شخصياته، ويستحضرونها رموزاً، ليس إلا تحدياً للكيان الصهيوني، وإدعائه أحقيته بالوطن، استناداً إلى افتراءات دينية"[3].

وبذلك يشير حضور النص القرآني في الشعر الفلسطيني الحديث إلى إسلامية القضية الفلسطينية، فلا عجب أن نرى استلهام الشعراء الفلسطينيين لآيات القرآن الكريم، وقصصه، وشخصياته، ورموزه، بما يعينهم على التعبير عن واقع قضيتهم، بجميع جوانبها: السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية[4].

وأول مظهر من مظاهر التناص، يتجلى في عنوان الديوان: (العصف المأكول)، الذي يتناص مع القرآن الكريم تناصاً اقتباسياً، يجعل الذاكرة القرائية للمتلقي تنفتح على القصص القرآني، لترسم في عقل المتلقي، ووجدانه ملامح المعركة مع المحتل. فالعصف المأكول يستدعي في الذاكرة الجمعية للمسلمين جيش أبرهة المهزوم، والكعبة التي دافع عنها جند الله في السماء: (الطير الأبابيل)، وهذا جعل الدراسة تتجه صوب سورة الفيل، بوصفها النواة التي انسل منها عنوان الديوان، وعمل على امتصاصها، والتناص معها. وكثير من قصائد الديوان تكشف عن عمق العلاقة التناصية الحاصلة بين العنوان والنواة، الذي يعود بالمتلقي إلى سورة الفيل، حيث فعل المقاومة الذي يمثل افتتاحية كبرى لعنوان الديوان، وعناوين قصائده.

وتولي الدراسات السيميائية أهمية كبيرة للعنوان، بوصفه قوة توجيهية فاعلة للمتلقي، لفهم النص، إذ "يمدنا بزاد ثمين، لتفكيك النص ودراسته، ... ويقدم لنا معونةً كبرى، لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد، ويتنامى، ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدد هوية القصيدة"[1]، ويربطها بفضاءات التلقي.

(1) التصوير الفني في القرآن الكريم قطب (ص36).
(2) مناورات الشعرية، عبد المطلب (ص53).
(3) الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، أبو اصبع (ص ص136–137).
(4) ينظر، أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث، النواجحة (ص82–83).

ويمتاز عنوان ديوان العصف المأكول بعلاقة عضوية مع القصائد، فهو جزء لا يتجزأ من قيمتها الإبداعية، لذلك ينبغي للمبدع والمتلقي أن يراعيا "وظيفة العنوان في تشكيل اللغة الشعرية، ليس فقط من حيث هو مكمل، ودال على النص، ولكن –أيضاً – من حيث هو علامة، لها بالنص علاقات اتصال وانفصال معاً، علاقة اتصال باعتباره وضع في الأصل، لأجل نص معين، وعلاقة انفصال باعتباره يشتغل كعلامة، لها مقوماتها الذاتية، كغيرها من العلامات المنتجة للمسار الدلالي، الذي نكوِّنه ونحن نؤول النص، والعنوان معاً"[2].

وقد بني عنوان ديوان العصف المأكول على ثلاثة محاور رئيسة، يتمفصل حولها المتن الشعري، وهذه المحاور هي: القداسة، وفعل الرغبة، والنتيجة الحتمية. كما ينهض العنوان الخارجي للديوان، والعناوين الداخلية للقصائد، بطاقات تبئيرية، توجه المتلقي صوب الحالات الانفعالية للذوات المبدعة، من خلال استثمارها للطاقات المعنوية، والروحية لسورة الفيل، ليشي هذا الاستثمار التفاعلي لمضمون السورة، بالتركيز على قوة الرغبة لدى أبناء الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال، وتحقيق النصر.

وتتأتى فاعلية عنوان الديوان من تناصه مع القرآن الكريم، وانفتاحه على سورة الفيل، التي تتشظى دوالها في المتن الشعري لقصائد الديوان، وهذا يوحي بقوة الترابط، والتواصل بين العنوان، والمتن الشعري. فالعنوان متصل بالمتن، ويطرح جملة من الاحتمالات الدلالية، تتجلى في البنى العميقة للنصوص الشعرية.

وإذا كان العنوان الرئيس للديوان، وبعض عناوينه الداخلية، تقوم بوظيفة تناصية، بتعالقها مع منظومة غير منتهية من المرجعيات القرآنية، التي تحيل إلى حادثة تاريخية حفظها القرآن الكريم، واستخلص منها الشعراء العبر والعظات، من خلال توظيف معطياتها، للتعبير عن تجارب معاصرة، تتقاطع مع تجارب القصص القرآني، وتتخذها رمزاً يعبر به الشعراء عن تشظي الجيش الذي لا يقهر، والحدود الآمنة، وواحة الديمقراطية في الشرق الأوسط، غير أن النصوص الشعرية لا تحيل على ذلك مباشرة، بل بصورة إيحائية، تجعل الرمز في درجة دلالية عميقة، لا يلتفت إليه إلا من يفكك الصور الرمزية، ويبحث في شتى درجاتها الدلالية، ويمر بكل عتباتها النصية، حتى يصل إلى بؤرة الرمز.

وقد استلهم شعراء ديوان العصف المأكول في تجاربهم الشعرية، ونصوصهم الإبداعية، ألفاظ القرآن الكريم، وتراكيبه، وعبروا من خلالها عن حالاتهم الفكرية، والانفعالية، ومزجوها في بنية تجاربهم الإبداعية، فأغنتها دلالياً بانفتاحها على نصوص مقدسة، ذات دلالات إيحائية، ونفحات إيمانية عظيمة، عبر عنها الشاعر عبد الخالق العف بقوله:[3]

والكيد رد إلى النحور وأصبحت	جثث الغزاة بأرضنا متمددة
هذا شهاب الله يجتاز الفضا	ورجومهم في قبة متجمدة
كالعصف مأكولاً تفرق جمعهم	وانهار جرف في المدى ما أسوده
بنيان مجد رص في صف الفدا	ألحان فخر في السماء مغرده
صدقت عزائم جندنا بصمودهم	والحر في الميدان أوفى موعده

ينفتح الشاعر في هذا المقطع على ذاكرة قرآنية، مشحونة بالدفاع عن سبيل الله، الذي أمد المسلمين بجنود لم يروها، وتنهض هذه الصورة على تناص مركب، من حيث إنها لا تتناص مع آية، ولا سورة قرآنية واحدة، إنما مع مجموعة من الآيات، مستدعاة من عدة سور قرآنية،

(1) دينامية النص، مفتاح (ص72).

(2) الشعر العربي الحديث، يحياوي (ص110).

(3) ديوان العصف المأكول، قصائد معركة العصف المأكول، مجموعة من الشعراء (ص16).

منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ، إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: 6-10] وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: 5-3] وقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: 109] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:4].

ومن الواضح أن الشاعر صاغ معاني الآيات القرآنية السابقة صياغة شعرية، ليعبر من خلالها عن إيمانه بنصر الله، ويرسم إعجابه بالمجاهدين في معركة العصف المأكول، وهكذا تأتي دلالات النص الشعري متواشجة، ومتماهية مع النص القرآني، لافتة نظر المجاهدين إلى أهمية رص الصفوف، وصدق العزائم، وقوة الصمود، وعظم التضحية، في سبيل تحقق وعد الله بالنصر والتمكين.

وتأتي دلالات النص الشعري السابق متوافقة مع دلالات الشبكة المرجعية للنصوص القرآنية، التي تحث المجاهدين على الصدق في طاعة الله، ورص الصفوف، مما يمنح الصورة الشعرية عمقاً دلالياً، وبعداً روحياً. وقد تجلت هذه المعاني الإيمانية في قصيدة الشاعرة أمل أبو عاصي (أربعة فصول للضباب)، التي رسمت فيها صورة للشهيد مفعمة بالروح الإيمانية، والملامح القرآنية، وذلك في قولها:"[1]

مسك الشهيد يوشوش الأحياء ويلم عن أوجاعنا الأعباء
ويقول: طبتم فادخلوها إنما هذا اليقين يخضب الأشلاء
النصر وعد الله يهطل فاهنئوا يا أم أشمس جرحنا وتناء
إن تذكريني اليوم لا تبكي دمي فأنا زكاة العيد ساعة جاء
ودمي صداق للتي عانقتها حباً وإنسانية ووفاء
فلتخرجي، وتزغردي، وتهللي شاء الإله فمرحباً إن شاء

تتناص الشاعرة في هذا المقطع- الذي رسمت فيه صورة الشهيد- مع قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73] وقوله تعالى:﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: 47] ويظهر الانسجام ما بين النص القرآني، والنص الشعري، في الدلالة على تحقيق وعد الله لعباده المتقين، الذين صدقوا الله فصدقهم وعده.

والمتأمل لبنائية التناص في هذا المقطع، يلحظ أنها تأتي في صدر الأبيات الشعرية، وهذا فيه إبراز لأهمية الشيء المقدم، وكأني بالشاعرة أرادت أن يكون التناص مع آيات القرآن الكريم، في افتتاحيات الأبيات، وهذا له آثاره الإيجابية في عملية التلقي الفاعل.

وقد استثمرت الشاعرة المثيرات السيميائية في رسم صورة مشرقة للشهيد، تفوح منها رائحة المسك -(مسك الشهيد)- وتتوشح بجمال الألوان -(يخضب الأشلاء، لا تبكي دمي، دمي صداق)- ويزينها إيقاع الصوت -(تزغردي، وتهللي)- وقد استوحت الشاعرة بعض هذه المثيرات السيميائية من قول النبي- صلى الله عليه وسلم-: "ما من مكلوم يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكَلْمه يدمي، اللون لون دم، والريح ريح مسك" [صحيح البخاري: 7/96-ح5533]

وقد جاءت دلالات النص الشعري متآزرة، ومتآلفة مع معاني الآيات القرآنية، التي تؤكد الدلالة في النص، وتمنح صورة الشهيد بعداً مادياً، ومعنوياً، وتكسبها جمالاً أدبياً، وصدقاً دلالياً، خاصة وأن الصورة الشعرية للشهيد جمعت بين ثنائية الموت والحياة التي استلهمتها

(1) ديوان العصف المأكول، مجموعة من الشعراء (ص ص40-41).

الشاعرة من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]. واستلهام الخطاب الشعري للنص القرآني بهذه الكثافة "يتيح للشعرية أن تشكل عالماً أرضياً موازيا للعالم السماوي، وما كان من الممكن تحقيق هذا المستهدف الإنتاجي، إلا بانفتاح الخطاب الواسع العميق على الخطاب القرآني، وامتصاصه في سياقه المتصل بعالم الخلود (الجنة)، التي لا يمكن أن تدانيها أي جنة أرضية، وهو ما حاول التخييل تحقيقه شعرياً بهذا الامتصاص"[1].

وقد كشفت قصيدة: (ليالي غزة) عن عظم المكائد التي تحاك ضد فلسطين، أرضاً وشعباً، وذكرت بوعد الله بالنصر والتمكين لمن يقاتل في سبيله، وتجلى ذلك في قول الشاعر أحمد الريفي:[2]

يتآمرون عليك في أوكارهم ... والله بالمتآمرين كفيل
هم يمكرون ولن يضرك مكرهم ... فالله فيهم أمره مفعول
وبرغم أسوار الحديد سينجلي ... ليل الحصار ويسطع القنديل
هي سنة الله المهيمن ما لها ... في الخلق تبديل وتحويل

تميز هذا المقطع الشعري بكثافة التناصات مع القرآن الكريم، فاتفقت دلالات الصورة الشعرية مع مجموعة دلالات من الآيات القرآنية، تمثلت في قوله تعالى:﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، [الأنفال:]30 وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [الأحزاب: 37] وقوله تعالى: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 43] وقوله تعالى:﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾،[الإسراء: 5].

تشير الآيات التي تناص معها الشاعر تناصاً تركيبياً، إلى موقف موحد تجاه الماكرين، والمتآمرين على القضية الفلسطينية، بأن الله لهم بالمرصاد، وأن سنة الله نافذة في هذه الأرض، وأن كيد اليهود وتآمرهم لن يقف دون تحقيق وعد الله بنصر المؤمنين، وقد عززت الدلالات النصية من اطمئنان المسلمين بأن الله لن يخذل أهل فلسطين، وأن ليل الحصار لن يطول، وستبدده قناديل الحرية.

وكذلك توجه شعراء ديوان العصف المأكول إلى توظيف عدد كبير من مفردات القرآن الكريم، مما يوحي بسعة ثقافتهم الدينية، وقد قام الشاعر عطا الله أبو السبح بامتصاص دلالات المفردات القرآنية، وتوظيفها في نصه الشعري، لمنحه قيمة فنية، ذات قدرة تأثيرية عميقة في وجدان المتلقي، على نحو ما يتجلى في قصيدته (حكاية نصر) التي يقول فيها:[3].

صاروخ غزة أبدع الترتيلا ... يُعلي سنام الدين والتنزيلا
هذي فوارسنا يعانق قلبها ... عبق الشهادة فاتحاً وجليلا

يستحضر الشاعر في هذين البيتين ألفاظاً من القرآن الكريم (الترتيلا، والتنزيلا، والشهادة) بعد أن حورها بما يتناسب مع تجاربه الشعرية، وحالاته الانفعالية، ووفق رؤيته لمعطيات معركة العصف المأكول، مما أضفى على صوره الشعرية نوعاً من القداسة، المستوحاة من التناص مع ألفاظ القرآن الكريم، الذي استمد منه المجاهدون منهجهم وفكرهم، وبذلك تمكن الشاعر من استثمار الطاقات الدلالية، والجمالية لألفاظ القرآن الكريم، وتراكيبه، وإكساب نصه الشعري قدرة تعبيرية، تحقق وهجاً دلالياً، وتأثيراً فنياً في الصورة التي رسمها الشاعر لصواريخ

(1) مناورات الشعرية، عبد المطلب (ص54).
(2) ديوان العصف المأكول، مجموعة من الشعراء (ص51).
(3) المصدر السابق، ص5.

المقاومة في غزة، التي شبه صوتها بصوت الترتيل في قداسته، وهذا فيه استدعاء لصوت ترتيل القرآن، لمطلقيها آناء الليل، وأطراف النهار، وهو ما أوحت به قصيدة الشاعر محمد رباح (زكيم ... موجة العذاب) التي يقول فيها:[1]

يـــا أرض غـــزة قـــد نســـجت مـــن الـــردى نـــــور الحيـــــاة كواكـــــف هطـــــال
إعصـــــار ربـــــك كـــــان جنـــــد كتائـــــب تتلـــــو بليـــــل ســـــورة الأنفـــــال

استثمر الشاعر المعاني الواردة في قوله تعالى:﴿ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 266]، وكذلك استدعى معاني سورة الأنفال، من خلال استدعاء اسم السورة، الذي يجذب المتلقي إلى سر القوة في زمن التردي، ويثير لديه كوامن الإيمان، وبواعث الإحساس الديني، الذي تجلى في الصورة التي رسمها للمجاهدين في معركة العصف المأكول، وما نتج عن هذا الوصف من اختيار اسم سورة تستدعي معارك خاضها النبي– صلى الله عليه وسلم–، وتوحي بصورة المجاهدين التي مزج فيها الشاعر بين الجهاد والقداسة، ورسم ملامح المقاومة الفلسطينية، وقدرتها على إيجاد الإرادة الصلبة القائمة على زنود رجال المقاومة، الذين آمنوا بربهم، وتحرروا من عقدة الخوف، وعرفوا رسالتهم في الحياة.

وبذلك يشير توظيف شعراء ديوان العصف المأكول للتناص الإفرادي، والتركيبي، مع آيات القرآن الكريم، إلى قدرة متميزة في التفاعل النصي بين النص المقتبس (النص القرآني)، والنص الشعري، ضمن علاقات تفاعلية منسجمة، بفضلها بات النص الشعري منفتحاً على أجواء من القداسة، تتجلى في المعنى الكلي للنص، وفي معاني بعض المفردات القرآنية التي أبقاها الشعراء في نصوصهم، بوعي ومقصدية، لقدراتها التعبيرية، وطاقاتها التأثيرية.

وقد ساعد التناص الامتصاصي لآيات الذكر الحكيم، في رسم الصور الفنية المنسربة في مفاصل النص، والمنسجمة انسجاماً واضحاً مع مكوناته الفنية، والموضوعية، حيث تجلت الصور الشعرية أكثر إيحاءً، وأوسع انتشاراً، فضل براعة شعراء الديوان في امتصاص ألفاظ القرآن الكريم، وتراكيبه، ومعانيه، وصياغتها صياغة فنية تطفح بحمولات دينية، وتشع بصور قرآنية مشرقة، منحت قصائد الديوان خصوبةً، وثراءً، وانفتاحاً على فضاء دلالي، وجمالي واسع، ومثير.

وبذلك جعل شعراء ديوان العصف المأكول النص القرآني بؤرة فنية مركزية، مولدة للدلالة التي كشفت عن تنوع آليات استثمار الخطاب القرآني في قصائد الديوان، ما بين الاقتباس، والامتصاص، والإشارة، وما بين التوظيف الإفرادي، والتركيبي، بما ينسجم مع طبيعة السياق الشعري، وفضائه الدلالي والجمالي.

المحور الثاني: التناص مع قصص القرآن الكريم

يمثل القصص القرآني رافداً من الروافد الفكرية، والروحية التي رفدت الأديب بطاقات دلالية، وآفاق جمالية واسعة، نتيجة تأملاته في قصص القرآن الكريم، التزاماً بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: 111]، "والقصص القرآني ليس عملاً فنياً مستقلاً عن موضوعه، وطريقة عرضه، وإدارة حوادثه، كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة، التي ترمي إلى أداء غرض فني مجرد، بل كانت القصة القرآنية وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى تحقيق هدفه الأصيل. والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء، والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة، وتثبيتها، شأنه في ذلك شأن الصور القرآنية الأخرى"[2] . وشعراء ديوان العصف المأكول، استثمروا الطاقات الدلالية،

(1) المصدر السابق، ص66.

(2) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، عبد التواب (ص91).

والجمالية، والروحية للقصص القرآني، بطريقة انزياحية عن صيغتها الأصلية، مع المحافظة على بنيتها العميقة، التي تشكل نواة القصة الأصلية، بحيث يسهل على المتلقي استدعاؤها، وتمثلها، من خلال معرفته بالنص الأصلي للقصة، وهذا يثير في النفس عمق الإدراك، و سرعة التقصي للامتدادات التناصية لقصص القرآن في النصوص الشعرية التي صاغها الشعراء بلغة فنية مؤثرة في الذاكرة الجمعية للمسلمين.

ويشكل قصص القرآن الكريم مصدراً قوياً، وينبوعاً ثرياً استقى منها شعراء ديوان العصف المأكول فكرهم، ومعانيهم، ولغتهم، واستثمروا طاقاتها الدلالية والجمالية، وأبعادها المعنوية والروحية، لتعزيز تجاربهم الشعرية، وتعميق مواقفهم الفكرية، وتوسيع دلالاتهم اللغوية، وشحنها بقيم مادية، ومعنوية، وجمالية، تبرز فاعلية التناص مع قصص القرآن، وأثرها في إكساب النص الشعري رونقاً جمالياً، وثراءً إيحائياً، وصدقاً فنياً، وبعداً روحياً.

ويكشف التناص مع قصص القرآن الكريم عن عمق الحالات الانفعالية، وتباين التجارب الإبداعية بين الشعراء، ويضع ثقافة الشاعر على المحك، إذ تتوارد الشخصيات، والمواقف، والأحداث القرآنية، وتتوزع في الخطاب الشعري بصور، وأساليب متباينة ما بين الحضور: الموضوعي، والدرامي، مما يوحي بحضور ألوان متباينة من الانفعالات داخل نصوص ديوان العصف المأكول.

والمتأمل لقصائد الديوان يلمس الحضور الفاعل لقصص القرآن الكريم، الذي يبرز عمق التأملات القرآنية، وخصوبة التجارب الشعرية، التي استثمرت التناص القصصي مع القرآن الكريم منطلقاً، للإيحاء بأفكار الشعراء، وعواطفهم، وانفعالاتهم، تجاه أحداث معركة العصف المأكول، التي رسم الشعراء صورها بألفاظ، وتراكيب، اكتسبت جمالها من أساليب القصص القرآني، وقد تجلى ذلك واضحاً في قصيدة: (نارية عاشق الشهادة)، التي نسج فيها الشاعر حسن قادوس بألفاظه، وتراكيبه الشعرية، أسلوباً لغوياً، اكتسب جماله من قصة أصحاب الفيل، وذلك في قوله:[1].

اليـــوم نجـــرفهم بجيـــل المصـــطفى عرفـــوا الصـــواب بآيـــة القـــرآن
فحجـــارة الســـجيل تثبـــت أنهـــا صـــنعت لنـــا عصـــفاً علـــى الطغيـــان
بمـــدارس الياســـين منبـــت مجـــدنا حبـــي لهـــا كالعاشـــق الولهـــان
هـــذي أخـــي ناريـــة عنوانهـــا العصـــف يـــأكلهم بنصـــر ثـــان

استثمر الشاعر في هذه الصورة الشعرية الطاقات الدلالية الواردة في قصة أصحاب الفيل، من خلال التناص مع بعض معطياتها، التي تتفاعل مع معطيات الواقع المقاوم، في معركة العصف المأكول، ليكشف– من خلال هذا التفاعل– عن مصير أصحاب الفيل في القرن الحادي والعشرين، الذين يمثلون عنوان الطغيان الخارجي، الذي يجتاح العالم الإسلامي عامة، وفلسطين خاصة، وإذا كان أصحاب الفيل هم عنوان الظلم في القصص القرآني، فالاحتلال الصهيوني، وأعوانه، هم أصحاب الفيل في العصر الحديث، جاءوا على متن أفيالهم الفولاذية، لاجتياح غزة، فتصدى لهم رجال غزة، وأحرار العالم في التاريخ المعاصر، وإذا كان عبد المطلب جد الرسول– صلى الله عليه وسلم– لم يتصد لجيش أبرهة الحبشي، وأمر الناس أن يتحرزوا في رؤوس الجبال، وقال لأبرهة: "إن للبيت رباً سيمنعه"[2]، فإن أبطال غزة تصدوا لأبرهة القرن الحادي والعشرين، ووقفوا في وجه العدوان الصهيوني، ووضعوا حداً لطغيانه، وظلمه، وبطشه.

(1) ديوان العصف المأكول، مجموعة من الشعراء (ص90).

(2) السيرة النبوية، لابن هشام (50/1).

كذلك استثمر الشاعر عطا الله أبو السبح في قصيدته: (لغزة كان نشيدي) المعطيات الدلالية والجمالية للطير الأبابيل، في قصة أصحاب الفيل، ورسم مشهداً من مشاهد النصر المبين، وذلك في قوله:[1]

صباح الخير يا وطني، صباح العار يا عرب
صباح النصر من دمنا،،
صباح قادم– حتماً– طيوراً من أبابيل
ويحملنا– كما الأنوار، والأبرار، والثوار، نحو بلادنا– رُمحا

في هذا المقطع إشارة تناصية مع سورة الفيل، التي رسمت هزيمة أبرهة الحبشي، وجنوده، وانكسار مشروعهم، وهذه الإشارة كامنة في مفردات، مثل: (طيوراً من أبابيل)، التي تحيل إلى قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ، فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ [الفيل: 3–5]، وقد أجرى الشاعر تحويراً بسيطاً في دلالة قصة أصحاب الفيل، فجعل الطيور الأبابيل بدلاً من أن تحمل الحجارة، تحمل بشائر النصر، في إشارة منه إلى معركة العصف المأكول، وفاعلية المقاومة الفلسطينية في مواجهة إرهاب المحتل، فكل صاروخ، أو قذيفة تخرج من غزة، تصبح ناراً تحرق المحتل وجنوده. فاستحضار النص القرآني هنا جاء للتذكير بزوال الاحتلال، فإذا كان جيش أبرهة الحبشي هزم بحجارة من سجيل، قذفتها عليهم الطيور الأبابيل، فإن المحتل سيهزم، ويندحر بأسلحة المقاومة الفلسطينية.

وينفتح الشاعر في النص الشعري السابق على ذاكرة قرآنية، مشحونة بأجواء من القداسة، اقترنت بالدفاع عن سبيل الله، فأكسبت الجنود، والقضية التي يدافعون عنها صفة القداسة، التي عمقت من دلالة الصورة الدرامية لحركة جند الله، وارتباطهم بالسماء، وقد تواشج هذا التناص مع تناص قرآني يؤازر دلالته، ويعزز فكرته، تجلى في قصيدة الشاعرة آلاء القطراوي: (الطريق لقبلة)، التي استلهمت فيها قصة يوسف عليه السلام، واستثمرتها في تشكيل رمزي، للدلالة على المقاوم الفلسطيني في معركة العصف المأكول، الذي خذله إخوته، وتركوه وحيداً في المعركة، وتجلت هذه المعاني في قولها:[2]

لا تسألوا الغزيَّ عن أسمائه
فهو الصباح، ووردة مبتلة
وهو الذي عزف الرصاص بدمعه
فتوقدت كنعان حين استله
وهو التمدد رغم أن حصاره
قيد وفك حصاره في جملة
يا رب قد خذل الشقيق شقيقه
فأغث ليوسف، كم تآمر حوله

تناصت الشاعرة في هذا المقطع مع شخصية يوسف تناصياً إيحائياً، بوصفها معادلاً دلالياً للإنسان الفلسطيني، الذي تخلى عنه أخوته، وخذلوه، وتركوه وحيداً في مواجهة ظلم الاحتلال وبطشه، ولم يشفع له استغاثته بهم. وهذا فيه إيحاء إلى ضياع النخوة العربية، وإمعان في قتل الفلسطيني، ومبالغة في تعذيبه وإرهابه، مما يكشف عن جذور الضعف، ومواطن الخلل الناتجة عن صمت العرب، إزاء المجازر الجماعية، والأعمال الوحشية، التي ارتكبت بحق أبناء الشعب الفلسطيني في معركة العصف المأكول.

(1) ديوان العصف المأكول، مجموعة من الشعراء (ص5).
(2) المصدر السابق، ص83.

لقد تآمر إخوة يوسف –عليه السلام– على يوسف، لأنه كان أثيراً عند أبيه، وقرروا التخلص منه. قال تعالى:﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف: 9]، وكان إجماعهم على التخلص منه بإلقائه في غيابة الجب، دون ذنب اقترفه. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: 15]، ولكن الشعب الفلسطيني لم يجد من يؤثره، أو يوده، أو يعامله معاملة مماثلة كغيره، بل تآمر إخوته عليه في معركة العصف المأكول، وقيدوه بالحصار، وتركوه في الميدان تحت نيران المحتل، يواجه مصيره. وهذا يوحي بتآكل قيم، طالما كانت راسخة في عقل الإنسان العربي ووجدانه، وهي قيم النجدة، والنخوة، والإغاثة.

وقد جاء توظيف الشاعرة لشخصية يوسف –عليه السلام– توظيفاً إيحائياً، أسهم في إنتاج دلالات فنية، وفكرية، حولت قصة يوسف في الصورة الشعرية إلى حكاية، ذات دلالات رمزية وثيقة الصلة بالواقع المعاش، وقد جسدت من خلالها المعاناة، بوصفها –أي قصة يوسف عليه السلام– نصاً دلالياً موازياً لحال الشعب الفلسطيني، الذي تخلى عنه إخوته العرب، وتآمروا عليه، وحاكوا له المؤامرات، ومارسوا الحصار ضده بصورة عملية، للتخلص منه، ونفي وجوده[1].

وقد استلهمت الشاعرة أمل أبو عاصي قصة إبراهيم– عليه السلام–، واستوعبت مضامينها، ووظفت دلالاتها، لتعبر عن الظلم والمعاناة، وتوحي بالإصرار، والثبات على الحق. وتجلى ذلك في قصيدتها: (أربعة فصول للضباب)، التي تقول فيها:[2]

قـــــال الركـــــام وللركـــــام لســـــان	مـــــتكلم لـــــو يـــــدرك الإنســـــان
ولـــــه عيـــــون تكتســـــي بدموعـــــه	ولـــــه فـــــؤاد شـــــاعر وجنـــــان
ولـــــه أب، وحبيبـــــة، وشـــــقيقة	ويحبـــــه الخـــــلان والجيـــــران
قـــــال الركـــــام وقـــــد ســـــمعت هتافـــــه	بـــــرداً ســـــلاماً أنـــــزل الـــــرحمن

تفاعلت الشاعرة في هذا النص الشعري تفاعلاً تواشجياً متماهياً مع النسيج القرآني في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: 69]، مما أسهم في تنمية الفكرة في ذهن المتلقي بحماية الله لجنوده، وتأييدهم بنصره، بالإضافة إلى ما يثيره النص من نواح جمالية، تعمق المشهد في وجدان المتلقي.

وتجلى في هذا النص استدعاء شخصية إبراهيم –عليه السلام– والتناص مع مواقفها الرافضة، والمتمردة على النمروذ، وإبراهيم العصر الحديث –(الفلسطيني)– تمرد على المحتل، ورفض واقعه الاحتلالي، وضحى بنفسه في محاربة النمروذ الذي احتل الأرض، وشرد الشعب، وقاد حرباً شرسة ضد الشعب الفلسطيني في غزة. وتتوجه الشاعرة إلى الله بالدعاء، أن تكون نار الاحتلال برداً وسلاماً على أبناء الشعب الفلسطيني، كما كانت على إبراهيم –عليه السلام–.

المحور الثالث: التناص مع شخصيات القرآن الكريم

لم يقتصر تناص شعراء ديوان العصف المأكول مع القرآن الكريم على محاكاة معاني الآيات، واستثمار القصص، بل زادوا على ذلك استدعاء شخصيات قرآنية، لتجسيد مواقف بطولية في معركة العصف المأكول، وتعميق القيم الإسلامية في الحرب والسلم، والإيحاء بقوى

(1) ينظر، تناص القصة القرآنية في الشعر الفلسطيني المعاصر، عبيات ومطوري (ص181).

(2) ديوان العصف المأكول، مجموعة من الشعراء (ص41).

الشر، والطغيان، المتجددة عبر أزمنة وأمكنة متباينة، لذلك فإن "الأحداث، والشخصيات التاريخية، ليست مجرد ظواهر كونية عابرة، تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها– إلى جانب ذلك– دلالتها الشمولية الباقية"[1] .

يهدف الشعراء من وراء استدعاء الشخصيات القرآنية إلى إعادة قراءة مواقف الشخصيات، وأحداثها من جديد، وتوظيفها توظيفاً فنياً، يشي بأبعاد تجاربهم المعاصرة، وبذلك تصبح الشخصية "وسيلة تعبير، وإيحاء في يد الشاعر، يعبر من خلالها – أو يعبر بها– عن رؤيته المعاصرة"[2].

ويعد التناص مع مواقف القرآن الكريم، وأحداثه، وشخصياته، سمة بارزة في الخطاب الشعري لشعراء ديوان العصف المأكول، مما يشير إلى سعة تأملاتهم لشخصيات القرآن الكريم، وعمق فهمهم لمواقفها، وأحداثها، وقوة استثمارهم لمعطياتها التي من شأنها أن تمنح صورهم الفنية، وأساليبهم اللغوية، فضاء شعرياً واسعاً، غنياً بالطاقات الدلالية، والأبعاد الجمالية.

وقد حلق شعراء ديوان العصف المأكول في فضاءات القرآن الكريم، وانفتحوا على قصص، وشخصيات، ومواقف، وأحداث، تتجاوز حدود الزمان والمكان، وحملوها تجاربهم المعاصرة، "وترتب على ذلك توسيع مفهوم التناص، وعدم الوقوف عند حدود استقصاء الوجود النصي، أو التعايش بين نص وآخر، إذ غدا يتخذ أشكالاً أعم وأشمل، تتصل بالتناص الزمني، أي نقل أمداء الزمن النصي من الماضي إلى الحاضر، والتناص الصوتي بين صوت الشاعر، وصوت رمزه"[3] ، مما يفتح النص على عوالم جديدة، ينزاح من خلالها الشاعر عن الذاتية، ويتفاعل مع ذوات أخرى تآلفت، أو تخالفت مع تجربته المعاصرة، وبذلك أصبح "التناص لا يقتصر حركة النص على النصوص الأخرى فقط، بل يتجاوزها إلى مظاهر غير نصية كثيرة، فقد يكون التناص إيماءً مباشراً، أو غائماً،... أو تلميحاً إلى شخصية، أو مكان، أو حادثة"[4] . وقد تناص شعراء ديوان العصف المأكول مع شخصيات، ومواقف، وأحداث قرآنية، تبرز حجم إصرار المقاومة على تغيير الواقع، لذلك كان الاستدعاء لشخصيات لها دورها التاريخي المشرق، واستلهموا مواقفها، وأعادوا صياغتها بشكل يتناسب مع فكرهم، وانفعالاتهم، ويتفاعل مع معطيات نصوصهم، على نحو ما تجلى في قول الشاعر أحمد الريفي:[5]

أنـــــتم أحبتنـــــا ولا نرضـــــى بكـــــم ... بـــــدلاً وهـــــل للعاشـــــقين بـــــديل
عشـــــنا معـــــاً ولســـــاننا كلســـــانكم ... وكلاهمـــــا كالصـــــولجان طويـــــل
مـــــن نســـــل إبـــــراهيم نحـــــن وبيننـــــا ... إرث مـــــن الـــــدم والرفـــــات ثقيـــــل
والله لـــــن ننســـــى تعلقنـــــا بكـــــم ... إلا إذا نســـــي الفـــــرات النيـــــل
لســـــنا ملائكـــــة ولا رســـــلاً لكـــــم ... فنبينـــــا للعـــــالمين رســـــول
بشـــــر كـــــآدم قـــــد تضـــــل بنـــــا الخطـــــى ... لكننـــــا بعـــــد الـــــزوال نقيـــــل
فـــــإذا اعتـــــدى جيـــــل علـــــيكم مـــــرة ... خطـــــأ فســـــوف يصـــــيب فـــــيكم جيـــــل
جبريـــــل أوصـــــى بـــــالجوار وإننـــــا ... ســـــنفي بمـــــا أوصـــــى بـــــه جبريـــــل

(1) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، زايد (ص120).
(2) المرجع السابق، ص15.
(3) مرايا نرسيس، الصكر (ص110).
(4) الشعر والتلقي، العلاق (ص132).
(5) ديوان العصف المأكول، مجموعة من الشعراء (ص ص53–54).

استدعى الشاعر في هذا النص شخصيات بعض الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم، للتعبير عن تجارب معاصرة، "وشخصيات الأنبياء عليهم السلام هي أكثر شخصيات التراث الديني شيوعاً في شعرنا المعاصر، ولا غرو، فقد أحس الشعراء من قديم بأن ثمة روابط وثيقة، تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته، والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية، وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته، ويعيش غريباً في قومه، محارباً منهم، أو في أحسن الأحوال غير مفهوم منهم"[1]. وهذا الحضور لشخصيات الأنبياء في تجربة الشاعر يوحي بالأصول المشتركة بين الفلسطينيين، والعرب، والمسلمين. ومن الطبيعي أن يسود بينهم روح المحبة والتآخي، ولكن معركة العصف المأكول، وما سبقها من معارك، أثبتت عكس ذلك، فالشاعر هنا يذكر العرب والمسلمين بأننا جميعاً من نسل إبراهيم – عليه السلام– وبيننا إرث حضاري، وديني عريق، لا يمكن أن ننساه، وأننا لسنا ملائكة، بل بشر كآدم – عليه السلام– نصيب ونخطئ، وستبقى المحبة والتواصل بيننا، لأن جبريل – عليه السلام– أوصى بحسن الجوار.

إن حشد هذا المجموع من الشخصيات القرآنية، ذات الدلالة الإيجابية البناءة، يوحي بسعة الثقافة القرآنية للمبدع، وبحرصه على إحداث أكبر أثر على المتلقي. ومن هنا فإن هذا الاستدعاء المكثف لشخصيات الأنبياء، يؤكد حرص الشاعر على ربط الأرض، والوطن المقدس بالسماء، وذلك من خلال استدعاء شخصيات بشرية، مثل: محمد، وإبراهيم، وآدم –عليهم السلام– وأخرى غير بشرية، مثل: جبريل والملائكة– عليهم السلام–، ليوحي– من خلال ذلك– إلى طبيعة العلاقة القائمة بينه وبين جيرانه، وإخوانه، والقائمة في أساسها على الإخوة والمحبة.

ويتكئ الشاعر أحمد الريفى في المقطع الشعري السابق على حديث النبي – صلى الله عليه وسلم–:"كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون" [سنن ابن ماجة: 1420/2–ح4251]، ويستلهم معطياته الدلالية، لرسم صورة إنسانية مشرقة لأبطال المقاومة، تخدم تجربته الإبداعية، لذلك ينفى عنهم أن يكونوا ملائكة، وإن كانوا يمتلكون بعض صفاتها، من سمع، وطاعة، وعبادة، ويؤكد أنهم بشر كآدم – عليه السلام– يصيبون، ويخطئون، ينامون، ويستيقظون، وهذا فيه كشف للصفات المادية، والمعنوية للمقاومين، والتي رسم ملامحها الشاعر عطا الله أبو السبح في قصيدته: (حكاية نصر)، التي يقول فيها:[2]

لكـــــن مبـــــدأنا عميـــــق فـــــي النهـــــى فجهـــــاد أحمـــــد حـــــرم التمثـــــيلا
وجهـــــاد أحمـــــد حـــــرم القتـــــل الـــــذي يـــــودي بغيـــــر محـــــارب تأصـــــيلا
لا يقتـــــل النســـــوان، والشـــــيخ الـــــذي أخنـــــى عليـــــه الـــــدهر، والمعلـــــولا

انفتح الشاعر عطا الله أبو السبح بتناصه مع شخصية محمد – صلى الله عليه وسلم– على وصايا الرسول – عليه السلام– للمسلمين قبيل خروجهم للغزوات: " اغزوا باسم الله، في سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً" [صحيح مسلم: 1357/3–ح1731]، واستدعاء شخصية الرسول –عليه السلام– والتناص مع أقواله، جاء من أجل إبراز القيم الدينية، والأخلاق الإسلامية التي تحلى بها المجاهدون في معركة العصف المأكول، وأوحى للمتلقي بالقيم الجهادية النبيلة التي تميز بها المسلمون عن غيرهم في المعارك.

(1) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، (ص97–98).
(2) ديوان العصف المأكول، مجموعة من الشعراء (ص7).

وتلقي شخصية مريم – عليها السلام– بظلالها الدلالية على قصيدة الشاعرة أمل أبو عاصي: (أربعة فصول للضباب)، إذ تصور القصيدة طهارة مدينة القدس، مثل طهارة البتول، رغم ما ألم بها من آلام، فستبقى رمزاً للصدق، والعفة، والجمال. وقد تجلت هذه المعاني في الصورة التي رسمتها الشاعرة لمدينة القدس بقولها:[1]

لـــو أن فـــي التـــاريخ قلبـــاً ناطقـــاً ... ولـــــه لســـــاناً صـــــادقاً ببيـــــان
لبنـــى لهـــا ملكـــاً يليـــق ولـــم تكـــن ... لـــــلآن تحـــــت مخالـــــب الطغيـــــان
لمدينـــــة مثـــــل البتـــــول طهـــــارة ... رغـــــم المواجـــــع والهـــــوى الفتـــــان
أســـــميتها ممـــــا يجـــــود جمالهـــــا ... أســـــميتها: قدســـــية البلـــــدان

استثمرت الشاعرة حادثة طهر مريم – عليها السلام–، للتعبير عن أبعاد تجربتها المعاصرة، ووظفتها "كرمز للقوى الإنسانية البكر، القادرة على تغيير هذا العالم الموبوء، إلى عالم آخر أكثر وضاءةً وإشراقاً"[2] ، وهذا تناص فيه جدة، لأن تناص أكثر الشعراء مع شخصية مريم – عليها السلام– كان من خلال حادث هزها للنخلة، وتساقط الرطب عليها أثناء ولادتها عيسى المسيح– عليه السلام–، وتناص الشاعرة في هذا المقطع يركز على الطهارة، والبكارة، التي يتمتع بها قلب فلسطين مدينة القدس، وتفتقرها كثير من مدن العالم.

ومن أجل أن يؤدي استدعاء الشخصيات القرآنية، ذات الدلالات الإيجابية، وظيفته الدلالية، يلجأ الشاعر إلى استدعاء شخصيات قرآنية ذات دلالات سلبية، تكون على النقيض أخلاقياً، وكلاهما ضروري، لإبراز الوجه الآخر لتوظيف الشخصيات القرآنية، ليتسنى للمبدع، والمتلقي، تمجيد الشخصيات ذات الوجه المشرق، والمواقف النبيلة، ونبذ الشخصيات ذات الوجه المظلم، والمواقف البشعة. وقد عبر الشاعر أحمد الريفي عن هذه المعاني في قصيدته: (ليالي غزة)، التي استدعى فيها شخصية ذات دلالات سلبية، وهي شخصية أبرهة الحبشي، وذلك في قوله:[3]

أرحيلنـــــا يبغـــــون عـــــن أحبابنـــــا ... والله عـــــنكم لا يطـــــاق رحيـــــل
كـــــلا ولا الـــــوطن البـــــديل مرادنـــــا ... أبـــــداً ولا التعـــــويض وهـــــي حلـــــول
لكـــــن حـــــلاً واحـــــداً متوقـــــع ... ســـــيموت أبرهـــــة ويفنـــــى الفيـــــل

استدعى الشاعر في هذا النص شخصية أبرهة الحبشي، باستخدام الاسم المباشر، وامتص الدور الذي قام به تجاه رمز ديني كبير، له مكانته قبل الإسلام وبعده، وهو (الكعبة المشرفة)، ثم أضفى على الشخصية المستدعاة صفات معاصرة، أوحى من خلالها إلى (أبرهة العصر)، وما يقوم به من احتلال، وقتل، وهدم، وتدمير، ومصادرة للحريات الدينية. وقد أثارت الدلالات السلبية لمرجعية الشخصية المستدعاة مفارقة دلالية، توحي بتشابه المواقف التي اتخذها عبد المطلب جد الرسول– صلى الله عليه وسلم– والمواقف التي اتخذها الحكام، والأمراء، والقادة تجاه أبرهة العصر، وشتان ما بين هذين الموقفين وموقف أبطال غزة.

وتأتي شخصية أبرهة الحبشي بدلالاتها السلبية، رمزاً في قصيدة عبد الخالق العف: (العصف المأكول)، وقصيدة نور محمد زياد: (العصف المأكول)، وقصيدة ربا صالح: (معركة العصف المأكول)، حيث تمفصل فيها منذ العنوان، الذي يحيل مباشرة إلى فضاء سورة الفيل،

(1) المصدر السابق، ص 42.
(2) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، زايد (ص118).
(3) ديوان العصف المأكول، مجموعة من الشعراء (ص55).

بوصفها الأنموذج القرآني الأكثر تعالقاً مع النصوص الشعرية، والنثرية، للأعمال الأدبية، لمعركة العصف المأكول، مما رسم صورة استباقية للتفاعلات النصية، المكتنزة لقصة أبرهة الحبشي، وجعل المتلقي يبحث عن أوجه التفاعل، و التماهي بين عناصر العملية التناصية.

وقد كشف التناص مع شخصيات القرآن الكريم– في ديوان العصف المأكول– عن تفاعل معطيات القرآن مع الواقع المعاش، ضمن علاقة جدلية، تبرز حضور الخطاب القرآني في الذاكرة الجماعية للمتلقي المعاصر. والشاعر عندما يعمد إلى توظيف "إحدى الشخصيات التراثية داخل قصيدته الحديثة، محاولاً التوفيق بينها، وبين واقعه المعاصر الذي يريد التعبير عنه، فإنه– في حقيقة الأمر– يحاول التوفيق بين خطابين مختلفين: الخطاب التاريخي، والخطاب الشعري"[1]، وبذلك يتمكن المتلقي من قراءة خطابين في نص واحد، خطاب قرآني، وآخر شعري.

الخاتمة:

بعد هذه الرحلة العلمية في الكون الشعري لديوان العصف المأكول، الذي تفاعل شعراؤه مع القرآن الكريم، بكل مكوناته المعنوية، والروحية، واستدعوا آياته، واستثمروا قصصه، وشخوصه، ومواقفه، وأحداثه، في التعبير عن تجاربهم المعاصرة، يمكن الوقوف على أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث، وحصرها فيما يأتي:

- التناص القرآني من الظواهر اللافتة في قصائد ديوان العصف المأكول، حيث تعددت صوره، وتباينت أشكال توظيفه، بشكل يبرز وعي شعراء الديوان باستثمار متناصاتهم، وتوظيفها توظيفاً جديداً، بشكل يكشف عن عمق تجاربهم الشعرية، وقوة امتلاكهم لناصية الإبداع، لذلك فإن نصوصهم المستدعاة، تخضع لعمليات تحويلية مختلفة، لتصبح جزءاً من نسيج النص الجديد، ومعبرة عن التجارب المعاصرة.
- وجد شعراء ديوان العصف المأكول في شخصيات القرآن الكريم، وقصصه، معادلاً دلالياً لقضاياهم المعاصرة، فقصة يوسف – عليه السلام– معادلاً موازياً لحال الشعب الفلسطيني، المتآمر عليه من قبل إخوته، بينما قصة إبراهيم– عليه السلام– توحي بنصر الله لعباده، ورمزت شخصية مريم البتول– عليها السلام–إلى طهارة القضية الفلسطينية، بينما رمز أبرهة الحبشي وفيله إلى المحتل الصهيوني، وترمز الطيور الأبابيل إلى المجاهدين في فلسطين.
- تتسم عملية التناص الديني في قصائد ديوان العصف المأكول بالوعي العميق، والفهم الناضج للمصادر الدينية، بكل تجلياتها المعنوية والروحية، والقدرة الفاعلة على إقامة علاقات حوارية بين النصوص المنتجة للدلالة، التي تفتح النص على آفاق معرفية واسعة.
- تفيض قصائد ديوان العصف المأكول بالمفردات، والتراكيب، والشخصيات، والقصص القرآني، الذي يعبر عن رؤية الشعراء لمعركة العصف المأكول، وفلسفتهم، وتأملاتهم لوقائعها، وأحداثها، وتكشف عن رؤاهم للواقع، واستشرافهم للمستقبل.
- تبرز الدراسة أن تناص شعراء ديوان العصف المأكول مع القرآن الكريم، لم يكن تناصاً من أجل زينة لفظية، أو معنوية، إنما كان تعبيراً إبداعياً يتسم بالعمق، والحيوية، استثمر فيه الشعراء الكثافة الدلالية، والجمالية، والإيحائية، لمعطيات القرآن الكريم، للتعبير عن واقع معركة العصف المأكول، والإيحاء بالحس الديني المتنامي في قصائد الديوان.
- استلهم شعراء ديوان العصف المأكول النصوص القرآنية، استلهاماً تفاعلياً في بنية نصوصهم الشعرية، فأغنت نصوصهم دلالياً بانفتاحها على العالم العلوي، مما أسس لرؤية إبداعية مكثفة، ذات فاعلية دلالية هادفة إلى ربط الأرض بالسماء.
- جاء التناص القرآني في السياق الشعري لقصائد ديوان العصف المأكول منساباً، ومتفاعلاً مع مكونات النص الشعري، بعيداً عن التكلف، والتصنع، لأن المفاهيم القرآنية راسخة في نفوس الشعراء، لا سيما المفاهيم التي تتعلق بالصراع الديني حول فلسطين.

(1) أشكال التناص الشعري –دراسة في توظيف الشخصيات التراثية، مجاهد (ص359).

- سجل التناص مع القرآن الكريم حضوراً فاعلاً، ولافتاً في ديوان العصف المأكول، وذلك يرجع لشدة التصاق القرآن الكريم بوجدان المبدع والمتلقي، وتجذره في ضميرهما الجمعي، إضافة إلى خصوبته الدلالية، وكثافته الإيحائية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

اسماعيل، عز الدين. **الشعر العربي المعاصر– قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية**. ط5. بيروت: دار العودة، 1988م.

أبو اصبع، صالح. **الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة**. ط1. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1979م.

بنيس، محمد. **ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب– مقاربة بنيوية تكوينية**. ط1. بيروت: دار العودة، 1979م.

تودوروف، تزفيتان. **ميخائيل باختين المبدأ الحواري**. ترجمة: فخري صالح. ط2. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1996م.

تودوروف، تزفيتان، وآخرون. **في أصول الخطاب النقدي الجديد**. ترجمة: أحمد المدني. ط1. بغداد: دار الشؤون الثقافية، 1987م.

زايد، علي عشري. **استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر**. ط1. ليبيا: منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، 1978م.

الصكر، حاتم. **مرايا نرسيس**. ط1. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1999م.

عبد التواب، صلاح. **الصورة الأدبية في القرآن الكريم**. ط1. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، 1995م.

عبد المطلب، محمد. **مناورات الشعرية**. ط2. القاهرة: دار الشروق، 1996م.

عبيات، عاطي، ومطوري، علي. **تناص القصة القرآنية في الشعر الفلسطيني المعاصر**. *مجلة آداب الكوفة– جامعة الكوفة*. ع(19). 2014م، 159–190.

العلاق، علي جعفر. **الشعر والتلقي**. ط1. عمان: دار الشروق، 1997م.

عمارة، إخلاص فخري. **استلهام القرآن الكريم في شعر أمل دنقل**. ط1. القاهرة: دار الأمين، 1997م.

الغذامي، عبد الله. **الخطيئة والتكفير**. ط1. جدة: النادي الأدبي الثقافي، 1995م.

فضل، صلاح. **إنتاج الدلالة الأدبية**. (د. ط). القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، (د. ت).

القزويني، محمد بن يزيد. **السنن**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). بيروت: دار احياء الكتب العربية، (د. ت).

قطب، سيد. **التصوير الفني في القرآن الكريم**. (د. ط). بيروت: دار الشروق، (د. ت).

مجاهد، أحمد. **أشكال التناص الشعري– دراسة في توظيف الشخصيات التراثية**. (د. ط). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.

مجموعة من الشعراء. **ديوان العصف المأكول– قصائد معركة العصف المأكول**. ط1. غزة: جمع وإعداد رابطة الكتاب والأدباء الفلسطينية، 2014م.

مفتاح، محمد. **تحليل الخطاب الشعري– استراتيجية التناص**. ط3. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1992م.

مفتاح، محمد. **دينامية النص**. ط2. بيروت: المركز الثقافي العربي، 1990م.

مصطفى، إبراهيم وآخرون. **المعجم الوسيط**. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

النوافعة، جمال فلاح. **أثر القرآن الكريم في الشعر الفلسطيني الحديث**. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة مؤتة، الأردن، 2008م.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج. **المسند الصحيح**. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د.ت).

ابن هشام، جمال الدين أبي محمد عبد الملك. **السيرة النبوية**. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. ط2. مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1955م.

واصل، عصام محفوظ. **التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر– أحمد العواضي أنموذجاً**. ط1. عمان: دار غيداء للنشر، 2011م.

يحياوي، رشيد. **الشعر العربي الحديث– دراسة في المنجز النصي**. (د. ط). بيروت: أفريقيا للنشر، 1998م.